لم يفت الأوان

قال متأملا : ملامحك تنطق بمصريتك..

قلت: وأفتخر...

قال : ماذا رأيت في؟

قلت: عزيزها..عزيز مصر الذي أوفى بالوعد وصدق العهد..وطمئن الأهل وأشبعهم.

قال:كيف أكون قد أشبعتك؟

قلت: غمرني أمان كان تائها عني عقودا ومن قلبه أنجبت الثقة وراهنت على تحويل أعتى الجبال لقطع صغيرة متناثرة من الحصى. وأنت ماذا رأيت بجانب مصريتي؟

قال: كونا..عالما..دوما أحببته وحلمت به أن أصير مواطناً كاملا فيه..أحلامي الخفية والظاهرة هي من قفزت أمامي فرحة تتراقص في حبور وتشير صامتة إلى صورتك...كلماتك عالمك، فنحن على نقيض

من حيث الأمكنة، فقريتى تبين بالكاد على الخارطة، وأنت من بلد البحر..طلاقتك كأمواجه، أفكارك كعمقه وكلماتك نسماته.

حبيبتي. تفرقنا أحداث أنا عرفتها وأنت قد شاركت فيها، في صنعها، رموز من البشر والتواريخ أخذت منك وأعطتك.

قلت: وأنا رغم البعد وكثير فروق، كنت أراك بداخلي، أحدثك حين أغضب ممن حولي وأعاتبك على عدم المجيئ، على التأخير يا عزيز مصر، كنت أحفظك بصدري تميمة أثق في حضورها، كالسحر ، حتى أني يوما أقسمت لنفسي أني سوف أقابلك وأراك، أبثك أوجاع "مصر" خوفها، قلقها، سأمها من كل ما حولها أيها الجميل "يوسف مصر"

قال: أحببت العالم في عينيك وبكيت، وخشيت أن تخذلني أحلامي وتعبتُ، لكن دائما كان لدي منفذا ضئيلا به نور، فقط أنا، "عزيزك" من يراه، أجلس غائبا معك نتحادث، نتحاور نتبادل القبلات ونكتب، معا كنا نكتب حروفك ظننتها أحرفي، لا أدري كيف.

قلت: فربما ما أرادته روحي وكتبته هي أشواقك أيضا، توارد أفكار.

قال: أرك كلك "فتنة"

قلت: تبالغ ولا تجعلني أبكي.

قال: ولماذا.؟

قلت: مشوار الأمس أغلبه جروح وألم حتى أني لم أجد وقتاً لأرى ملامحي.. ثوب التواضع أرتديه منذ ولدت حتى استعار لون جلدي.. أحمال كالذنب غطت هامتي سنينا..فلجأت لسلم أولوياتي، وألقيت بي، بعواطفي، ملامحي، أشواقي رغباتي..كلهم أطحت بهم بقوة في نهاية السلم وظلمته وبرودته ، جزء كبير من داخلي كان معطوبا فقط لطول التخزين.

قال: سأعوضك.. أقسم أني سوف أكون عاشقك، معشوقك، طول العمر فكوني دائما لي.

قلت: كمن كان مسجونا منذ سنين.. محروما من أغلب الأشياء الحميمات، حتى صداقاتي ليست دافئة.. كثيرة عددا أجوفا مصنوعا لكني وحيدة، مذ كنت طفلة، لم أفلح معهم لأني دائما أنتقي مهما كانت ضرائب رهاناتي..الشخص عندي حبات عقد أو سبحة، أراه ككل وفشلت في تقديم الغفران فأصبحت، وبلا ندم أحيانا، قرباناً مغلقاً

حزيناً ينخره الحس باليتم والفقد. تغزوني الوحدة فأصاحبها حيناً وتغلبني بقسوتها أحياناً ومن جوف هذا الحس الثلجي، كنت كمجنون ألمح طيف لفرح قادم يجبرني لأواصل منتظرة، لكني أبداً لم أبحث، انتظرت على أمل، أحسسته ليس وهمياً أو شبحياً مكذوباً، شبه تأكيد كان يزاورني من حين لحين يربت على كتفي يتألم لتنهداتي، عن بعد أحببتك دون معرفة بمدى إختلاف أبجدياتنا وأكتفيت بطعم الكلمات، كلماتك تكفيني زادا قلتها لك مرارا.

قال : أعشقك أكثر الآن حبيبتي.